اليوبيل الماسى للكلية الاكليريكية

سلسلة
آباء الكنيسة

القديس إغريغوريوس



صانع العجائب

أسقف قيصرية الجديدة

✝

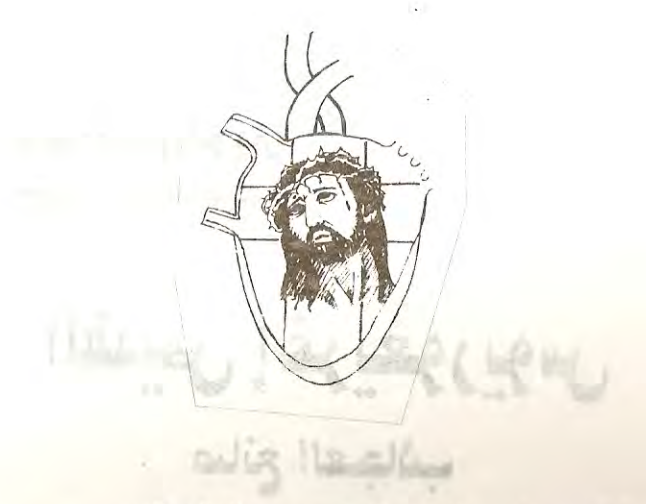
علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

القديس إغريغوريوس
صانع العجائب

ST. GREGORY THAUMATURGOS

ترجمة وإعداد

أنطون فهمى چورچ



الكتـــــاب : القديس إغريغوريوس صانع العجائب

ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .

المطبعـــة : الأنبا رويس (الاوفست) - العباسية - القاهرة .

رقم الايداع : ٨٢١٢

تطلب من :

كنيسة مارجرجس - اسبورتنج - الاسكندرية .

ص. ب. ١٧ الابراهيمية - ت . (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨) .

كنيسة القديسين - سيدى بشر - الاسكندرية .

ت . (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨) .



البابا شنودة الثالث



مقدمة

إن التراث الآبائى الباترولوچى يرتكز حول الحياة فى المسيح يسوع ، فهو ليس مجرد تذكر لما هو وراء لكنه امتداد لما هو قدام... لأن المسيح ربنا هو هو أمس واليوم وإلى الأبد الكائن والذى سيكون .

ومن هنا كانت أهمية أقوال الآباء واستمراريتها كتقليد كنسى خلاق وطاقة حب مجانية فى شركة القديسين ، ولغة غرس مشتركة ، وخبرة قداسة مُعاشة ، نحتاجها ونتطلع إليها .

وربما الذين لا يأخذون بالتقليد ولا يتمتعون بغنى الآباء ، يعتبرون التقليد إنغلاقاً وتراثاً قديماً وتكراراً ببغائياً يتجاهل تطور الأذواق والعقليات والحس النقدى ، لكننا نؤمن أن المسيح الساكن فى هؤلاء الآباء هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ، يُعلم إنسان اليوم أن يخرج على آثار الغنم ليعرف إلى أى مدى يمكن أن تتغذى حياته وتشبع نفسه بالخصوبة والنضارة وتتحسس أقدامه خطوات

الطريق... وهذا معناه أنه يمكن للإنسان المعاصر أن يتلامس مع عمل نعمة الله فى أولئك الآباء ، فيدخل فى عمق نهر الحياة .

فقط يهمنا أن لا نقدم أقوال الآباء بطريقة ميكانيكية أو بطريقة عقلية ، ولكن بجذورها الإنجيلية وبفكرها وروحها العام والمتكامل ، حياة وخبرة وتدريب وممارسة وأعمال ، دون أن نهتز من الدراسات النقدية الحديثة ، بل نأخذ روح الآباء ونطبقها على واقع الإنسان اليوم وغداً .

لقد تحاور الآباء مع الفلسفات والأساطير والتراث الهيللينى والعبرانى ومع مشاكل المدنية المحيطة بهم ، ليعدوا العدة الروحية للتفاعل والتأثير فى الإنسانية المعذبة والمشتاقة إلى كلمة الخلاص ، فنحن نؤمن أن الاعلان الإلهى هو هو لا يتغير ببشارته المفرحة ، لكنه إعلان لا ينتهى ، وبشارة لا تنضب ، قادرة أن تعمل وأن تخلص .

وهكذا صار التقليد الآبائى مصدراً هائلاً للقوة الروحية والعملية ، وطاقة كبيرة للخبرة والبركة ، يستمر جديداً فى الظروف

المعاصرة ، فى حوار بنّاء بين الإعلان الإلهى من ناحية وبين أحداث التاريخ من ناحية أخرى .

وأقوال الآباء ما هى إلا «مكبرات صوت» لكلام الله، ودورها هو لقاؤنا مع المسيح أى لقاء الإنجيل مع الإنسان المعاصر ، تمضى به من بدايات إلى بدايات جديدة وبلا نهاية ، فى المحبة والإيمان والرجاء والاتضاع والتوبة ومخافة الله .

لا شك اننا أغنياء إذ صارت حياتنا مغروسة فى الله ، خلال كلام الآباء وحياتهم التى تسرى فى جداول القلب المختون المنسحق والطاهر ، وفى مجرى العقل اليقظ المستعد الذى يرصد أسرار الله ويتذوق سلامه وفرحه .

إننا أغنياء بأقوال الآباء والمعرفة الآبائية المشبعة بالإنجيل والنسك وبالسلوك المسيحى ، والتى لابد أن تصير مكوناً أساسياً من مكونات حضارة اليوم ، لنحيا شهادتنا وكرازتنا المعاصرة .

لذا كنيستنا كنيسة الآباء تمثل الخميرة التى تخمر العجين المقدس كله وحبة الحنطة التى تزرع أشجار الحياة ، مستندة على

روحانيتها الخصبة... تشهد لإيمانها ليس عن طريق العصيان والتمرد والنقد والمعارضة ، وإنما بالاعتراف الحسن والطاعة والوداعة وتفضيل الاستشهاد ، فظلت دائماً تستمد حيويتها وقوتها من فكر وحياة وسير الآباء ، المعبرة عن عمق الحياة الروحية للكنيسة .

وقد ساهم علم الباترولوچى فى الحفاظ على اقرار الإيمان ، وفى تغذية الوعى الإيمانى واللاهوتى والسلوكى العملى ، فصارت الآبائيات ميراثاً وكنزاً ثميناً نسهر على سلامته بكل غيرة ، والحياة الروحية للإنسان لا يمكن - فى عرف الآباء - أن تكتمل بدون «شركة القديسين» ، والسبب فى هذا هو أن القديسين لم يكونوا مؤلفى نظريات عن الإيمان ، بل عائشين هذا الإيمان على أساس يومى ، وبهذا يمكننا أن نتخذهم مرشدين شخصيين وناصحين لنا ننظر إلى نهاية سيرتهم ونسلك بإيمانهم ، طالما أنهم قد سبق وعاشوا فى هذا العالم دون أن يكونوا من هذا العالم .

ويعلمنا الآباء أن الإيمان بدون أعمال ، والأعمال بدون إيمان هما شيئان مرفوضان معاً فى الكنيسة الأرثوذكسية... إن الاباء

يقدمون للإنسان الحديث علامات إرشاد صادقة وأفكار أصيلة ، بالإضافة إلى أنهم يقدمون حياتهم كأمثلة حية كاملة ، وفى مواجهة الذين يظنون أو يدعون أن المسيحية لا تصلح للتطبيق فى أيامنا الحاضرة ، نُذكّر هؤلاء بأن الحياة فى الحق من أجل الرب يسوع المسيح هى حياة قوية زاخرة .

ومما لا شك فيه أن الآباء وهم يقدمون حياتهم أمثلة حية ، يحملون النور ويعيشون الإيمان ويرعون القطيع ، يصنعون الرسالة ويعلمون البشارة ويصيغون العقيدة وينشرون الكرازة ، يعرفون الحق الحقيقى للتعليم ، وهو أن الأعمال يجب دائماً أن تنطبق على كلمات الوعظ ، فيستخدمون كلماتهم على أساس حياتهم ، ويبنون حياتهم على الصخر ، محكومين باشتياقات مقدسة وبقانون الجهاد الروحى .

فبلغت كلماتهم قلوب السامعين سريعة وكأنها حديد مطروق... والقديس غريغوريوس صانع العجائب قدم سيرته وقدوته ويقول: «يمكن لواحد وحده أن يصنع شيئاً ، بشرط أن تكون أفعاله وأعماله وكلماته كلها صحيحة» .

حينما صار اغريغوريوس أسقفاً ، لم يكن هناك فى الإيبارشية التى أُقيم عليها إلا ١٧ مؤمناً بالمسيح فقط ، وبعد حياة حافلة بالخدمة والإيمان والكرازة بكلمة الله تنيح ولم يكن بها إلا ١٧ فقط من غير المؤمنين .

أدرك اغريغوريوس أن الكارز يلزمه أولاً وقبل كل شئ أن يكون رجل صلاة ، فصنع المعجزات والآيات الروحية والجسدية ، وقدم ببساطة الإيمان للبسطاء ، وسمو المعرفة العالية للكاملين ، وغلب الشياطين بقوة الصليب المحيى ، وعاين السيدة العذراء ويوحنا الحبيب ليتعلم كيف يقدم البشارة المفرحة .

إننا نقدم هذه السيرة الرسولية ضمن **سلسلة آباءِ الكنيسة** (**أخثوس** ΙΧΘΥΣ) لننظر ونتعلم كيف أن شخصاً واحداً إلتهب بالغيرة الإلهية أمكنه أن يحول مدينة بأكملها للمسيح... وها هو اغريغوريوس العجائبى غيّر إيبارشية وإقليماً بأكمله .

نقدمه نموذجاً فى الخدمة ، نموذجاً فى التحول من وإلى ، من الوثنية إلى المسيحية ، من عبادة الأوثان إلى عبادة الإله الحقيقى

وحده ، من شخص وثنى إلى كارز باسم المسيح ، من الوثنية إلى صنع العجائب ، إنه ثمرة عمل النعمة وفاعلية المعمودية واستجابة أمينة فى العمل الكرازى والرعوى وفى الأبوة والتعليم .

لذلك تأيدت خدمته الأسقفية بالعجائب والمعجزات والأعمال الإلهية الفائقة ، وصارت إيبارشية قيصرية محبة للمسيح ، فلينفعنا الرب بصلواته وطلباته ولينفعنا بسيرته وقدوته .

إننى أحسب نفسى فرحاً بهذه المساهمة العلمية المتواضعة ، خلال تقديم **موسوعة آباء الكنيسة** فى اليوبيل المئوى للكلية الإكليريكية التى نتطلع إلى مكانتها الروحية والعلمية واستمراريتها فى رسالتها من أجل الإعداد العلمى لمواجهة المشاكل والشكوك الفكرية والأيديولوچيـة التى تجتـاح عالمنا المعـاصر وبروح إنجيـلى وفكر آبائى .

نتطلع إلى استمرارية الإكليريكية والتربية الكنسية فى صنع النهضة اللاهوتية المعاصرة ونقل حياة وفكر الاباء... كإمتداد طبيعى لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى التلمذة وفى إعداد الخدام

والرعاة ، فى الوقت الذى يتعاظم فيه دورها كماً وكيفاً ، إنتشارا وتعميقاً أفقياً ورأسياً فى عهد أبينا رئيس الأحبار البابا البطريرك **الأنبا شنوده الثالث** ـ أطال الله حياته .

ذاكراً مساعدة وتشجيع نيافة الحبر الجليل **الأنبا بيشوى** مطران دمياط وسكرتير المجمع المقدس الذى بحسه الرعوى ووعيه اللاهوتى يشجع الدراسات والأبحاث ويتقدم دائماً الصفوف ، وكذا شكرنا لأبينا الحبر الجليل **الأنبا بنيامين** النائب البابوى بالاسكندرية من أجل محبته وإشرافه على العمل ، فليديم الله حياتهما بركة وذخراً وعزة للكنيسة ، ببركة صاحب السيرة القديس اغريغوريوس صانع العجائب وكل مصاف القديسين ، ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين .

تذكار صوم الرسل الأطهار

١٩٩٤م

١٧١٠ش

القديس اغريغوريوس العجائبى

نشأته

وُلد وثنياً من أبوين وثنيين ذوى شهرة وكرامة عالية ، ودُعى اسمه ثيودورس *Theodorus*، ولم يُعرف بالاسم اغريغوريوس إلا بعد قبوله الإيمان المسيحى ومعموديته .

وكانت ولادته فى قيصرية الجديدة بنواحى البحر الأسود من أعمال البونطس فى آسيا الصغرى فى أوائل القرن الثالث ، حوالى سنة ٢١٣م ، وتوفى والده وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، لكنه اكمل تعليمه إذ كان محباً للمعرفة ومشتاقاً إلى ادراك الحق... وكان مهتماً بدراسة القانون والبيان .

وحدث أن زوج أخته كان قد عُين معاوناً لحاكم فلسطين ، فصاحبها عام ٢٣٣م ومعه أخوه أثينودورس *Athenodorus* الذى صار بعد ذلك أسقفاً واحتمل الكثير من أجل الإيمان بالمسيح .

وهناك درس العلوم القانونية الرومانية ، حيث كانت هذه العلوم فى ذلك الوقت سمة كبار القوم ، وكان يتأمل مظاهر العبادة الوثنية المحيطة به من يوم وإلى يوم... فنما فيه شعور بالنفور من ناحيتها ، وبدأ يتلمس طريق الحق .

وفى قيصرية فلسطين التقى هو وأخوه بالعلامة أوريجانوس السكندرى ، الذى كان قد لجأ إليها أثناء فترة خلافه مع البابا ديمتريوس وأنشأ بها مدرسة لاهوتية ضخمة ، فهزهما هزاً وغير أفكارهما وبرنامجهما .

وبالرغم من عدم معرفة أوريجانوس السابقة لهما ، إلا أنه أحسن استقبالهما وهما بعد وثنيين ، مظهراً لهما سروراً من أجل اصطيادهما وربحهما لحساب المسيح ، وانقذهما من ظلمة العبادة الوثنية .

وارتبطا به واحباه جدا ، وتتلمذا على كلماته وعظاته ، واجتهدا فى مطالعة الكتاب المقدس وفى الدراسة بمدرسة الموعوظين ، وأعجب ثيودورس الشاب به جداً إلى الحد الذى جعله

يكتب خطاباً يذكر فيه تفاصيلاً ملموسة عديدة ، ومدحه بدون تحفظ قائلاً:

«إن ملاك الله أرشدنا فى طريق هذه الحياة ، وربطنا بحبل المودة مع هذا الرجل العظيم الذى سنستفيد منه جداً ، ومع كونه مسيحياً ولا معرفه له بنا ، إلا أنه أحسن استقبالنا وأظهر لنا سروراً كأننا أناس قد هداهم الله إلى شباكه ليصطادنا ويربحنا للإنجيل وينقذنا من ظلام عبادة الأوثان» .

كان العلامة أوريجين يهتم بتدريس شتى العلوم والمعارف والفلسفات معتبراً أنها مقدمة للفلسفة الحقة الحقيقية التى هى دراسة الأسفار الإلهية ، وطريقة خلاص للعقلانيين والفلاسفة المعاصرين له .

وأيقن الأخان أن الحق الذى يطلبانه لا يوجد فى كتب الفلاسفة ولا فى الفكر البشرى المجرد ، إنما خلال نور الإيمان واعلانات الله ، فقادهما أوريجانوس بلباقته وحكمته ونسكه إلى قبول الإيمان والدراسة فى مدرسة الموعوظين .

وأشاد أوريجين باغريغوريوس معتبراً إياه ابناً مكرماً له ، حاثاً إياه أن يضرم مواهبه ويستثمرها لحساب ملكوت الله ، وأن يوظف ما درسه من فلسفات فى خدمة العمل الكرازى لمواجهة خليط الفلسفات بذات أسسهم ، وتفنيد حججهم وقيادتهم إلى الإيمان الحقيقى .

ويشهد اغريغوريوس لمعلمه ومعينه أوريجين بانه قدم حياته مثلاً للحياة الإنجيلية وأن سر إنجذابه له كان فى أعماله التى فعلها أكثر من التعاليم التى علمه إياها... وكان اغريغوريوس يذكر دائماً كيف قدم له أوريجين التعاليم المسيحية العملية ، وكيف علمه كلمة الله وكيف ساعده ليترك حياته البربرية الوثنية ، وكيف تتلمذ عند قدميه قرابة خمس أعوام ، وكيف سلمه لاهوت الحياة الروحية ، وكيف قدم له الإيمان المستقيم بطريقة شاملة .

واشاد ايضاً اغريغوريوس العجائبى بمعلمه أوريجين ، عندما وصف إمكانياته فى تفسير كلمة الله قائلاً عنه: «الروح القدس الذى يوحى للأنبياء ، كرمه كصديق ، وعينه كمفسر خاص به» «له القدرة أن يصغى لله ويفهم أقواله ويشرحها للبشر لكى

يفهموها هم ايضاً» .

ويذكر علم الباترولوچى أن أوريجانوس أرسل رسالة إلى تلميذه القديس اغريغوريوس كُتبت ما بين عام ٢٣٨ وعام ٢٤٣م بينما كان أوريجين فى نيقوميديا يطلب فيها منه أن يقتطف من الفلسفات اليونانية ما يمكن أن تنتفع به المسيحية ، كما انتفع اليهود بالأوانى الذهبية والفضية التى أخذوها من المصريين فى خدمة الإله الحقيقى ، كما طالبه بالاهتمام الشديد بدراسة الكتاب المقدس وأن يقرع الباب ويسأل خلال الصلاة لكى يتفهم الاسرار الإلهية .

يوصى أوريجين تلميذه اغريغوريوس قائلاً له: «جاهد فى قراءة الكتب الإلهية ، نعم كن مثابراً... اقرع فسيُفتح لك الباب... ولا تتوقف عن القرع والسؤال ، فإن الصلاة هى أهم عون لازم لمعرفة الحق الروحى ، لهذا قال الرب اقرعوا فسيُفتح لكم ، اطلبوا تجدوا كما قال اسألوا تعطوا» .

وبالجملة لقد استمر اغريغوريوس وأخوه ملتصقين بأوريجين ،

إلى أن ثار اضطهاد مكسيميانوس ، مما اضطر معه أوريجين إلى ترك قيصرية إلى حين ، وحينئذ أتى اغريغوريوس إلى الاسكندرية المدينة العظمى المحبة للمسيح ، ودرس الطب والفلسفة اللذين كانا فى أوج شهرتهما هناك .

وفى الاسكندرية كان غريغوريوس وأخوه اثينودوراس يتعلمان فى مدرسة الموعوظين التى كان يديرها ويرأسها وقتئذ القديس ديونيسيوس(*) الذى صار فيما بعد البابا السكندرى .

معموديته

وبعد ذلك بقليل عاد ثيودورس إلى مدينته ونال سر المعمودية ودُعى باسم غريغوريوس ، ولا نستطيع أن نتيقن تاريخ ومكان اقتباله المعمودية ، وإن كان البعض يرجح تاريخ معموديته هو وأخيه فى سنة ٢٣٩م ، ثم بدأ منذ ذلك الحين يرتقى سلم الفضائل .

(*) *انظر كتاب «البابا ديونيسيوس السكندرى» ضمن هذه السلسلة (أخثوس ΙΧΘΥΣ).*

وهناك فى مدينته انطلق إلى البرية ليعيش حياة الخلوة والتأمل ودراسة الكتاب المقدس والتدرب على الحياة النسكية ، إلا أن الرب حرك قلب القديس أفديموس مطران أماسيا الذى كان متصفاً بروح النبوة ، والذى كان قد بلغه خبر قداسة غريغوريوس ، فأرسل أفديموس يستدعيه ، إلا أنه هرب من برية إلى برية .

سيامته أسقفاً

بعد أن عطرت سيرة اغريغوريوس الأرجاء ، وصار مشهوداً له من الجميع ، رأوا سيامته أسقفاً على مدينة قيصرية الجديدة التى لم يكن بها من المسيحيين سوى ١٧ شخصاً ، وصار أسقفاً لهذه المدينة التى بلا رعاية ، بعد إلحاح وصلوات كثيرة ، وكانت فى حال أسوأ مما سواها ، وكانت تحتاج إلى أسقف كارز وراعى له سيرة نقية وبلا عيب .

طلب القديس اغريغوريوس متوسلاً لكى يهبه الله نعمة الفهم والشرح لحقائق الإيمان ، ولا سيما سر التثليث والتوحيد ، وسر التجسد الإلهى ، وتدبير الخلاص... فسمح الله أن تظهر له السيدة العذراء فى رؤيا ومعها القديس يوحنا الرائى واللاهوتى الذى شرح

له الحقائق الإيمانية وسلمه قانون العقيدة ، وقام غريغوريوس وسجل صورة هذا الإيمان بحسب ما روى لنا القديس اغريغوريوس النيصى كاتب سيرته .

عمله الكرازى والرعوى

بدأ الأسقف الجديد يسير فى المدينة ، وهو يحمل فى داخله قوة إلهية وغيرة رسولية ، وإذ به يرى هياكل الأوثان ، فدخل بها وصار يصلى ، وفى الصباح جاء كاهن الوثن فوجد الشياطين قد هربت من الهيكل ، وسمع أصواتهم تصرخ قائلة: «إن اغريغوريوس قد أخرجنا من الهيكل» فذهب كاهن الوثن إلى حاكم المدينة ليشكو إليه هذا الغريب الذى تخضع له الشياطين .

ومن فرط عجائبه وعمل الله معه ، أن هذا الكاهن الوثنى آمن على يديه فيما بعد وصار له تلميذاً لا يفارقه ، ويرى البعض أنه خلفه على كرسى قيصرية الجديدة بعد نياحته .

تأيدت خدمته بالعجائب حتى أن كثيرين آمنوا ، وأخذ يعلمهم الإيمان المسيحى بقدوته وسلوكه كما بعلمه ومعرفته ، حتى أن

الفضائل كانت تتلألأ فى كل أفعاله وحركاته ، وببركة صلواته وجهاده وسعيه الكرازى الكبير ، قبِل عدد كبير من أهل المدينة نعمة المعمودية المقدسة .

جاهد اغريغوريوس من أجل الدخول العملى إلى واقع الكرازة فاستخدمه المخلص ليكون كأساً ثميناً يسكب فيه نعم الخلاص لشعب إيبارشيته ، وكان شغله الشاغل هو أن يجعل من قيصرية الجديدة مدينة تعرف الله ومن شعبها شعباً مستعداً لله ، فعاش من أجلهم ومن أجل خلاصهم .

صار صوته صوتاً رسولياً ولسانه بوقاً سمائياً ، فأودع فى أذهان ونفوس شعبه وديعة الإيمان ، وكشفت سيرته عن شخصية أسقف يعشق الكرازة ولا يكف عن العمل لمجد الله ، كارزاً بالحب والعمل ، يعد لسر المعمودية بخدمة الكلمة ثم يتمم السر... وبصلاحه أغلق حتى أفواه الأعداء وصار حتى غير المؤمنين يوقرونه .

وعاش يرعى ويصلى ويكرز ويضم للإيمان ويقدم حياته قبل

كلماته حياة غير ملونة ، بل بسيرة حسنة صار نوراً وملحاً وسفيراً ، صار حياة تضيء وأعمال تتكلم وقوة تسد الشيطان وتبكمه ، فآمن على يديه كثيرون واجتذب قلوب شعب قيصرية الجديدة إلى شخص المسيح المخلص .

فى غيرة مقدسة قدم للمسيح نفوس كثيرة كما لو كان ينفث ناراً ، وفى حرارة ومثابرة حول الوثنيين إلى مسيحيين ، بعد سهر واضطهاد كما لو كان قائد جيش ، وبصلاحه خلص مدينة بأسرها ، بعد أن تراكم داخله عدد كبير من الشهداء ، إذ أن الشهيد يموت مرة من أجل سيده ، أما اغريغوريوس فكان يموت كل يوم من أجل قطيعه ، وبشر الكل وسلك كحمل وسط ذئاب ليحولها إلى حملان ، فأخذ المكافأة .

عجائبه

أراد أهل المدينة أن يبنوا كنيسة ، إلا أن جبلاً أعاق أن تكون هذه الكنيسة واسعة ، فصلى القديس وإذ بالجبل ينتقل مسافة مناسبة لبنيان الكنيسة .

كان نهر ليكوس يفيض ويغرق المحاصيل فقام القديس ووضع عصاه على ضفة النهر ، وطلب من الله أن لا يتخطى النهر هذا الحد ، وإذ بالنهر لا يتجاوز العصا بل وصارت هى شجرة كبيرة .

استخف بالقديس شخص محتال بإدعاء انه يحتاج إلى مال ليدفن صديقه ، ولما قدم له القديس ثوبه مع مساعدة ، وجد أن صديقه قد مات فعلاً .

تقاطرت عليه الجموع ليصلى من أجلها فشفى كثيرين من وباء الطاعون الذى استشرى فى المدينة ، وكان الموضع الذى يزوره لا يأتى إليه الوباء مرة أخرى ، وبذلك انتهى هذا الوباء من قيصرية الجديدة وآمن الجميع بالسيد المسيح وهدموا معبد الأصنام .

نهاية سيرته

حدث اضطهاد فى البلاد فقام القديس بافتقاد كل عضو من أعضاء كنيسته الحية والفتية ، وضمد الجراح وجمع رفات الشهداء ورتب تذكاراتهم ورسم يوماً للاحتفال بهم .

ودبر شئون غنمه الناطقة مدة تزيد على ٢٦ سنة فى رعاية وأبوة رسولية نادرة ، وقبل نياحته اشتاق أن يفتقد أولاده ليعرف كم بقى فى قيصرية الجديدة من الوثنيين ، فإذ به يعرف أنه لم يبق بها سوى ١٧ وثنياً ، بينما كان عدد المسيحيين عند رسامته أسقفاً هو ١٧ مسيحياً فقط .

وتنيح بسلام ودُفن فى مقابر الغرباء المساكين حسب وصيته حوالى سنة ٢٧١م .

وقد كتب كتابات غنية بالفكر اللاهوتى العميق وبالشروحات العقيدية التى تفصح عن قدراته الفلسفية والعلمية فى الوصف والتحليل والاستنتاج والشرح ، تلك الأمور التى جعلت منه كارزاً ومبشراً ناجحاً .

تكريمه

يُعتقد أن سميه اغريغوريوس اسقف نيصص هو الذى كتب سيرته ، كما مدحه القديس باسيليوس الكبير نقلاً عن جدته ماكرينا التى إلتقت بالقديس اغريغوريوس صانع العجائب

واستمعت إلى عظاته... قال عنه باسيليوس: «إنه قديس مزين بروح الأنبياء والرسل ، ظهرت فى سيرته سمة الكمال الإنجيلى ، فى جميع طرقه التقوية... فلم يصل مطلقاً ورأسه مغطى ، وكان يتكلم باحتشام ووقار ، ولم يرى ابداً فى غضب ، ولم تخرج من فمه كلمة ردية» .

وقد دعاه باسيليوس بموسى الثانى ، ولقبته الكنيسة بصانع العجائب أو العجائبى ، وهو من المعترف بقداستهم فى الكنيستين اللاتينية واليونانية ، حيث تحتفلان بتذكار نياحته فى اليوم السابع عشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) أما الكنيسة القبطية فتحتفل بتذكار نياحته فى الحادى والعشرين من شهر هاتور ، وتذكره فى مجمع القداس الإلهى .

بركة صلاته تكون معنا آمين .



كتاباته

لم يكن اغريغوريوس رجل قلم بقدر ما كان رجل عمل ، وكل ما كتبه إنما وضعه لأجل أهداف عملية ، متعلقة فى الغالب بأعماله الرعوية ، والموجود من كتاباته حالياً هو :

١) مدح لأوريجانوس *The Panegyric to Origen*

وهو عظة ألقاها القديس غريغوريوس عند مغادرته لمدرسة أوريجين فى قيصرية ، وهى تعبر بمحبة كبيرة وبأسلوب راق عن شعوره بالدين نحو معلمه الموقر ، وبعد المقدمة (١-٣) والتى فيها يقول انه عاجز عن مدح معلمه مدحاً وافياً ، يشكر (٣-١٥) أولاً الله معطى جميع الخيرات ، ثم ملاكه الحارس الذى قاده هو وأخاه إلى قيصرية ، واخيراً استاذه العظيم الذى ملأ تلاميذه بالتعطش للمعرفة المقدسة .

وفى كلمته هذه يقدم لنا اغريغوريوس وصفاً دقيقاً وثميناً لطريقة ومنهج أوريجين فى التعليم ، وفى الخاتمة ، يعبر عن أسفه

لرحيله من قيصرية (١٦-١٧) ويطلب بركة وصلوات معلمه (١٨-١٩) ، وهذه الوثيقة لها أهميتها فى تاريخ التعليم المسيحى .

٢) قانون الإيمان أو شرح الإيمان

The Creed or Exposition of Faith- Εκθεσισ πιστεωσ

كتب اغريغوريوس قانون إيمان قصير ، ورغم انه يتحدث فقط عن عقيدة الثالوث القدوس ، إلا انه يقدم تعبيراً دقيقاً للغاية عنها.

والنص اليونانى لهذا القانون بجانب انه وصلنا ضمن السيرة التى كتبها اغريغوريوس النيصى ، موجود ايضاً فى عدد كبير من المخطوطات ، كما ان هناك ترجمة لاتينية قام بها روفينوس *(Hist.eccl.7,26)* وتوجد أخرى سريانية (ستجد الترجمة العربية لهذا القانون منشورة فى الفصل الخاص بالملامح الفكرية لاغريغوريوس العجائبى فى هذا الكتاب) .



٣) الرسالة القانونية

The so-called Canonical Epistle

Επιστολη κανονικη

هذه الرسالة المرسلة إلى أحد الأساقفة الغير معروف الاسم ، والذى ارسل إلى اغريغوريوس يستشيره ، تُسمى الرسالة القانونية لأنها وُضعت فى مجموعة الرسائل القانونية للكنيسة اليونانية .

بعد هزيمة ديسيوس (٢٥١م) هاجم القوط بونطس وبيثينية واحتلوهما ، وإذ أتخذ القوط من مسيحى البونطس عبيداً لهم ، اضطر هؤلاء إلى أكل الطعام الوثنى مما ضايقهم كثيراً ، كما اغتصب القوط العديد من النساء ، وايضاً مال بعض المسيحيين إلى جانب البرابرة بل أن البعض اشترك معهم فى أعمالهم الشريرة .

وفى رسالته هذه ينصح اغريغوريوس زميله الأسقف بخصوص هؤلاء الساقطين ويحثه على ضرورة التأديب بقوانين التوبة ، ولكنه يؤكد فى الوقت نفسه على ضرورة أن يكون رحيماً ووديعاً

وصبوراً ، والقانون الأخير له أهميته بصفة خاصة فى تاريخ قوانين التوبة ، فهو يعدد الدرجات المختلفة للتائبين :

«البكاء يكون خارج الكنيسة ، والخاطئ الواقف هناك يجب أن يتوسل إلى المؤمنين الذين يدخلون أن يصلوا لأجله .
الاستماع إلى الكلمة يكون داخل باب الشرفة الخارجية ، حيث يجب أن يقف الخاطئ حتى يخرج الموعوظون وبعد ذلك يجب أن يخرج ، لانه قيل دعه يستمع إلى الأسفار المقدسة والعقيدة ثم بعد ذلك يخرج ، ويعتبر غير لائق لامتياز الصلاة .
السجود هو أن يقف الشخص عند بوابة الهيكل ويخرج مع الموعوظين .
الرجوع هو أن الشخص يُحسب مع المؤمنين ولا يخرج مع الموعوظين .
وأخر الكل تأتى الشركة فى الأسرار الإلهية » .



٤) سرد لسفر الجامعة

The Metaphrase of Ecclesiastes

Μεταφρασισ εισ τον εκκλησιαστην Σολομωνοσ

هذا العمل هو عبارة عن إعادة صياغة وسرد للنسخة السبعينية من سفر الجامعة ، ورغم أن أغلب المخطوطات تنسبه إلى اغريغوريوس النزينزى ، وطبعه مينى *Migne* ضمن أعمال النزينزى *(MG36,66gf)* إلا أن چيروم *(De.Vir.ill.65)* وروفينوس *(His.eccl.7,25)* يعتبراه ضمن أعمال اغريغوريوس صانع العجائب الموثوق فى صحة نسبها إليه .

٥) عن عدم قابلية الله للألم

On the Impassibility and Passibility of God

كتب اغريغوريوس هذا العمل إلى شخص يُدعى ثيؤبومبس *Theopompus* وهو موجود فقط فى ترجمة سريانية ، ويتضمن حوار فلسفى بين المؤلف وبين ثيؤبومبس عن عدم قابلية الله للتألم ، فالله لا يمكن أن يخضع للألم ، وابن الله ، بآلامه التى قبلها بإرادته وحده ، هزم الموت .

أهم ملامح فكره

من مخطوط اعترافات الآباء

قال اغريغوريوس صانع العجائب أسقف قيصرية كبادوكية فى ميمره لاجل الثالوث:

الابن متصل بنا ، أى أنه واحد من أثنين ، لاهوت وناسوت معاً ، صير الأثنين واحد ، وليس فيه إضافة إلى اللاهوت (أى إلى لاهوت الثالوث) ، بل هو ثالوث بحاله ايضاً ، وأقانيم الثالوث أزلية منذ قبل الأزمان ، ولكن لم يعرفها أحد من الناس ، إلا بعد أن تجسد الابن واظهرها ، وقال يا أبتاه قد أظهرت اسمك للبشر ، فاظهر لى أنا ايضاً لكى يعرفوا أنى ابنك ، وهكذا صرخ الآب ايضاً على الجبل قائلاً «هذا هو ابنى الحبيب» وكذلك ايضاً على الأردن ، واعطانا روحه القدوس ليعرفنا أن الثالوث أزلى وهو متساوى ، وولادة الابن من الآب غير مدركة ، ولا يمكن النطق بها لأنها روحانية ، لأن الروحانى لا يقدر الجسد أن يدركه ، ولا

يمكنه البحث عنه ، لانه لا يشبه طبيعة البشر ، ولا ولادته مثلما للبشر ، لانه عظيماً لا يُدرك ، أما البشرية فقد عرفنا ولادتها ولكن الروحانى يعلو على طبيعة البشرية وغير مدروك من أفكار البشر ، وغير هالك ، وغير مضمحل ، فأما الذى لنا فهو يهلك ويضمحل فكيف يكون المحصور من ستة أركان ، التى هى الشرق والغرب والبحرى والقبلى والسماء والأرض ، يقدر أن يعرف الذى هو من فوق السماء ومن أسفل السماء ، ومن تحت ومن أسفل ، ومن تحت الآفاق ، وخارج عن بحرى وقبلى ، وهو فى كل مكان ، ويملأ الكل والكل فيه ، ولو قدرنا أن نبحث عنه ونعرفه ، لكنا تفنى عظمة الروحانى ، ولكن إن قدرنا فلنبحث لنعرف الجسدانى أعنى كيف هى ولادة الفكر من القلب ، ونعرف خلقة الخليقة ، وولادة النطق من اللسان كيف مثاله ، فإذا لم نعرف نحن هؤلاء (أى تفسير الأمور التى فينا نحن البشر) الذين هم فينا ، فكيف نقدر نعرف سر الخالق الغير مخلوق الذى يعلو كل العقول ، ولو كان يمكن لإنسان أن يعرف هذا السر ، ما كان يوحنا الإنجيلى الناطق بالإلهيات يشهد بأن الله لم يره أحد... نحن نعلم أن

أنفسنا ساكنة فينا ، وهى متحدة بأجسادنا ، فمن الذى أبصر نفسه قط ، أو ما هو اتصالها مع جسدنا ، ومن الذى بحث عن ذاته؟

نحن نعلم فقط أن أنفسنا ساكنة فينا ، وهكذا نعقل ونؤمن أن الكلمة مولود من الآب بلا بحث ، ولا نعرف كيف هو ، وهو قبل كل الخليقة ، أزلى من أزلى ، مثل ينبوع من ينبوع ، ونور من نور ... كلمة الله هو أزلى معه ، ولم يزل غير مفترق منه ، لا تفنى ولادته منه ، بل هو أزلى معه فى كل حين بغير افتراق ، بالكلمة خلق السماء والأرض ، وبه كان كل شئ ، هذا هو قوة الله ، وذراع الله الغير مفترق من أبيه ، وليس له ابتداء مع الآب ، هذا هو الذى اتخذ منا من عجنتنا التى هى مريم العذراء ، فهو مساوى للآب بلا جسد وغير مفترق عنه ، وهو مساوى لنا بالجسد بلا افتراق ، هكذا ايضاً هو مساوى للروح القدس بلا جسد وغير مفترق عنه ، وهو بلا اضمحلال ولا طبيعتين .

هى طبيعة واحدة للثالوث القدوس ، من قبل أن يتجسد الابن الكلمة ، وهى ايضاً طبيعة واحدة بحالها للثالوث القدوس من بعد أن تجسد الابن ، والذى يضيف زيادة على الثالوث القدوس لأجل

تأنس الكلمة فهو غريب عنا وعن خدمة الكنيسة الجامعة ، هذا هو تمام الأمانة المقدسة الرسولية التى لله القدوس .

والمجد للثالوث القدوس إلي الأبد أمين.

وقال ايضاً القديس اغريغوريوس فى كتاب آخر «الأمانة» :

الله الحقيقى الغير متجسد ، موجود وظهر بالجسد ، وهو تام فى اللاهوت الحقيقى الكامل ، ليس هو ذو شخصين ولا طبيعتين ولا نقول ايضاً أننا نعبد رابوعاً ، الله وابن الله وإنسان والروح القدس ، فمن أجل هذا نحرم المنافقين الذين يقولون بإنسان فى تمجيد اللاهوت ، فأما نحن فنقول ، ان كلمة الله صار إنساناً من أجل خلاصنا ، لننال صورة الإنسان السمائى... كصورة الابن الحقيقى ابن الله ، وهو بالجسد ابن البشر ، ربنا يسوع المسيح ملكنا إلى الأبد وإلى أبد الأبدين أمين .



قانون إيمان

لاغريغوريوس صانع العجائب

يوجد إله واحد ، أبو الكلمة الحى ، الذى هو حكمته وقوته الجوهرية وصورته الأبدية ، والد كامل لمولود كامل ، أبو الابن الوحيد الجنس .

يوجد رب واحد ، وحيد من الوحيد μονοσ εκ μονοσ إله من إله ، صورة وشبه اللاهوت ، كلمة فاعل، حكمة شاملة لتأسيس كل الأشياء ، وقوة مكونة للخليقة كلها ، ابن حقيقى من آب حقيقى ، غير منظور من غير منظور ، وغير فاسد من غير فاسد ، أبدى من أبدى ، وسرمدى من سرمدى .

وهناك روح قدس واحد ، له وجوده من الله ، ويُعلن بالابن ، ليعلم البشرية : هو صورة الابن ، صورة كاملة للكامـــل ؛ هو الحيـــاة ، سبب الحياة ؛ هو نبع قدوس ؛ هو القداسة ، الواهب التقديس أو السلم إليه ، فيه يستعلن الله الآب الذى هو فوق

الكل وفى الكل ، والله الابن الذى هو بالكل .

هناك ثالوث كامل ، فى المجد والسرمدية والسلطان ، غير منقسم ولا متفرق ، لذلك ليس فى الثالوث أى شئ مخلوق أو فى عبودية، ولا أى شئ مُضاف ، كما لو كان فى زمان سابق غير موجود ثم فى زمان لاحق أُضيف ، وهكذا لم يكن الابن ابداً بدون الآب ، ولا الروح بدون الابن ، لكن بدون استحالة وبدون تغيير ، نفس الثالوث هو هو يبقى إلى الأبد .



من الكتابات المنسوبة إليه

١) من عظة فى عيد البشارة

اليوم تترنم الرتب الملائكية بألحان التسابيح والفرح ، ويضئ نور البشارة بالمسيح متلألأ على المؤمنين ، اليوم هو ربيعنا المبهج ، اليوم يشرق شمس البر - المسيح - بأشعته الوهاجة علينا ، فينير أذهاننا .

اليوم تشع نعمة الله والرجاء فى غير المنظوْر موضحاً السر المكتوم منذ الأزل ، اليوم تتحقق نبوة داود المرنم «لتفرح السموات وتبتهج الأرض»... اليوم استعلان لسر المسيحيين الذين بارادتهم وضعوا رجاءهم فى المسيح .

اليوم جاء جبرائيل الواقف أمام الله إلى العذراء كلية الطهر حاملاً البشارة المفرحة قائلاً: «السلام لكِ يا ممتلئة نعمة» (لو١ :٦٨) ولما كانت العذراء فى حيرة ، كشف لها الملاك ملخص الرسالة: «لا تخافى يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ،

تلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ ... الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلى تظلـك فلذلك ايضاً القدوس المولـود منك يدعى ابن الله» (لو١ :٣٥) .

اختارت النعمة مريم دون سواها لأنها برهنت على رزانتها وسط كل الأجيال ، فلم تكن مثل حواء الأولى الفاسدة الذهن التى خدعها الشيطان بسم قوته المهلكة ، بل مريم هذه بفضيلتها رفعت مضايقات القديسين ، وفيها وحدها انصلح سقوط هذه الأم الأولى حواء .

فى حيرة تساءلت العذراء عن مصدر هذه الحكمة والبركات والكنوز والعطايا السمائية ، إنها وجدت نعمة عند الله ، ليست حسب مقاييس الطبيعة ، إنها تعلم الأمور المخفية حتى عن الآباء والأنبياء ، إنها تعلم ما كان مختوماً حتى عن الملائكة ، إنها التى تقبلت وحدها الأمور التى جهلها الملهمون من البشر ، لانه حيث

يحل الروح القدس ، يكشف الأمور التى سبق تدبيرها وحيث تكون النعمة الإلهية حاضرة يكون كل شئ ممكناً بالله .

وكما ان الينبوع المتدفق ينبع مجارى مياه ، هكذا ايضاً هذا الينبوع الدائم التدفق والدائم حياة يفيض نوراً للعالم ، نوراً دائماً وحقيقياً هو المسيح إلهنا الذى يفرح العالم كله ، وقد لاق بالملاك أن يقول لمريم «السلام لك يا ممتلئة نعمة ، الرب معكِ» إذ كان يلقى فيها كنز النعمة ، وهى وحدها من بين كل الأجيال قامت كعـذراء طاهـرة جسـداً وروحاً تحمـل ذاك الذى يحمل كل الأشيـاء .

لقد خاطبها الملاك «الرب معكِ» الله بنفسه معك وليس زوجاً أرضياً ، معك إله التقديس ، أب الطهارة ، ينبوع عدم الفساد ، واهب الحرية ، خادم الخلاص ، معطى السلام الحقيقى ، هذا الإله معك وفى نفس الوقت يتجسد منكِ .

السلام لك... معكِ مصدر النور الذى يضئ لكل المؤمنين به.

السلام لك... يا من يشرق فيكِ شمس البر وزهرة الحياة غير الدنسة! وسكن فيكِ الذى يقدس كل الأشياء .

السلام لك يا روضة زكية الرائحة ، وكرمة دائمة الإزهار ،
السلام لك أيتها التربة غير المفلحة التى أثمرت بوفرة ، وانجبت ما يفوق الطبيعة ، فقد جعل الله الكلمة الذى هو من فوق له مسكناً فيكِ .

لقد اشتهى الآباء والأنبياء أن يروه ولم يروه ، بعضهم تنبأ ونظر رؤى وظلال ورموز ، أما مريم العذراء فهى وحدها التى اعلن لها رئيس الملائكة جبرائيل بنفسه بطريقة واضحة مبشراً إياها بالبشارة المفرحة... وهكذا تقبلت وانجبت اللؤلؤة كثيرة الثمن .

فهى بحق قدس الأقداس بقبولها كنز القداسة الكامل ، وقد سمعت رئيس الملائكة واعلن لها الاسرار الكاملة بوضوح ، فلنكرم ونطوب ونمدح قضيب يسى ، التى قمطت ذاك الذى يغطيه النور كثوب (مز١٠٤:٢) .

لقد اضطجعت المسيح فى مزود ، وهو ذاك الجالس على الشاروبيم والممجد من الطغمات العلوية!! فى المزود المخصص للحيوانات غير الناطقة اضطجع كلمة الله ، ليقدم للبشرية ، التى

صارت غير عاقلة بإرادتها ، بصيرة العقل الحقيقى .

فى الموضع الذى يأكل فيه القطيع رقد الخبز السماوى لكى يقدم قوتاً روحياً للذين يعيشون على الأرض كالحيوانات ، لم يكن له مكاناً فى المنزل هذا الذى أسس السماء والأرض!! وإذ هو غنى افتقر! واختار اتضاعاً عجيباً من أجل خلاص طبيعتنا ، لكى نرث صلاحه ، هذا الذى كمّل كل بر فى اسرار تدبيره غير المنطوق بها .

فى السماء كان فى حضن الآب ، وفى مغارة المزود اضطجع بين يدى أمه ، وقد أحاطت به طغمات الملائكة مترنمة وممجدة ، ففى السماء كان جالساً عن يمين الآب ، وفى المزود استراح كما لو كان على الشاروبيم ، إذ جاء ليتمم آلامه الخلاصية ويمنحنا الفرح الدائم غير المدرك .

غير الجسدى قدم تحية لمن فى الجسد «السلام لكِ يا ممتلئة نعمة الرب معك» .

السلام لكِ لأنك بالحق مستحقة للفرح ولبستِ ثوب النقاوة

وتمنطقتى بالرزانة .

السلام لكِ لأن نصيبك هو مركبة الفرح السماوى .

السلام لكِ لأنه خلالك صار الفرح للخليقة كلها وعن طريقك استردت البشرية كرامتها .

لم تضطرب مريم لأن بتوليتها اعطتها نوع من المساواة والمشابهة مع الملائكة ، ولم تتسخ أو تنطفئ شعلة بتوليتها .

وخلال الملاك المبشر جبرائيل قدمت كل الطغمات السمائية السلام للعذراء ، بل ورب الطغمات السمائية ورب كل الخليقة اختارها بنفسه ، لأنها قديسة صالحة ، وخلال قداسة أحشائها وطهارتها ونقاوتها يولد «اللؤلؤة المضيئة» من أجل خلاص العالم كله .

جسدك أطهر من الذهب وأحشاؤك رأها حزقيال كالبلور ، إنها مزروعة فى بيت الله كشجرة الزيتون المثمرة التى ظللها الروح القدس وعن طريقها دُعينا أبناء وورثة ملكوت المسيح! هى فردوس غير فاسد دائم الإزهار ، هى مجد العذراى ، وفخر الأمهات ، هى

المعين الأكيد للمؤمنين ، ومثال الأتقياء ، هى ثوب النور ومسكن الحق، هى مقام البر ، كل من يحبها ويأخذ من بتوليتها النقية الطاهرة يتمتع بنعمة الملائكة ، فكل من يحفظ سراج البتولية غير منطفئ يستحق أن ينال الأبدية التى لا تذبل ، ومن يحفظ نفسه بثوب العفة غير الدنس يؤخذ إلى جمال البر السرى ، ومن له زيت إضاءة الفهم وبخور الإدراك النقى يرث وعد الكرامة الروحية والتبنى الروحى .

بلياقة أُرسلت النعم إلى العذراء القديسة ، والاسم الذى أُعطى لها كان ملازماً لها ، فقد كانت تدعى «مريم» أى استنارة ، وأى شئ أكثر ضوء من نور البتولية العذراوية؟ ولهذا السبب دُعيت الفضائل «عذارى»... إنها البشارة السارة الخاصة بتدبير المخلص الذى كشفه للضالين واعلنه للبائسين واضاءه للعميان ، يقيم الأموات ويعتق العبيد ويحرر المأسورين .

لم يكن له موضع فى المنزل (لو٢ :٨) ذاك الذى أوجد كل الأرض... كانت تقوته باللبن ، ذاك الذى يقوت الكل ويهب حياة لكل كائن حى ، وقمطت بالخرق ذاك الذى يصون

المسكونة كلها... واضطجعت فى المزود الجالس فوق الشاروبيم (مز٨٠:١).

اشرق نور سماوى حول ذاك الذى يضئ المسكونة كلها! جنود السماء سبحته لانه الممجد فى السماء قبل الدهور ، ونجم بضيائه قاد الآتيين من بلاد بعيدة إلى ذاك الذى هو مشرق بحق .

ومن المشرق جاء الآتيون بالهدايا إلى الذى افتقر من اجلنا ، أما والدته فقد حفظت هذا الكلام وخبأته فى قلبها كمن يتقبل كل الاسرار...

جاء إليها جبرائيل ليعلن الخلاص للعالم كله وليحمل علامة شفاء آدم ويحول خزى جنس النساء إلى كرامة ، ويعد حجال العريس طاهراً!!



٢) من عظة فى عيد الغطاس

انصتوا يا أحباء المسيح لحديثى هذا عن معمودية المسيح فى الأردن ، لعله يثير اشتياقكم إلى الرب الذى فعل الكثير لاجلنا بتنازله إلى مستوانا... لانه جيد هو التعطش فى أمور خلاصنا! لنأت إذن كلنا من الجليل إلى اليهودية ، ولنخرج مع المسيح لانه طوبى للذين يشتركون فى السفر فى طريق الحياة!

تعالوا بخطوات حكيمة إلى الإردن لنرى يوحنا المعمدان وهو يعمد ذاك الذى لا يحتاج إلى معمودية ومع ذلك يُخضع نفسه لطقسها ، وذلك حتى يهبنا نعمة المعمودية مجاناً ، تعالوا لنعاين صورة تجديد خلقتنا فى مياه هذا النهر .

«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه» (مت٣:١٣) .

يا لعظم اتضاع الرب! يا لغنى تنازله! ملك السموات يسرع إلى يوحنا سابقه ، دون أن يأمر ربوات الملائكة بأن تحوطه أو أن تواكبه الجيوش وتبشر بقدومه! بل ها هو يقدم نفسه ببساطة شديدة

في هيئة جندى إلى تابعه ، ثم اقترب إليه كواحد من الجمهور ، وتواضع جاعلاً نفسه بين الأسرى فى حين انه هو محررهم!! وساوى نفسه مع الذين هم تحت الدينونة فى حين انه هو الديان! وانضم إلى الخراف الضالة فى حين انه هو الراعى الصالح الذى من أجل الخراف الشاردة نزل من السماء!

ولما رآه يوحنا وتعرف على ذاك الذى سبق أن تعرف عليه وارتكض وهو فى بطن أمه وسجد له ، احنى رأسه مثل عبد مملوء حباً لسيده قائلاً: «**أنا محتاج أن اعتمد منك وأنت تأتى إلىّ**» (مت٣: ١٤).

ما هذا الذى تفعله يا سيدى؟ أنا المحتاج أن اعتمد منك ، لماذا ترغب أن تأخذ ما لا تحتاجه؟ لماذا تثقل علىّ أنا خادمك ، بتنازلك السامى إلىّ؟ فالأقل هو الذى يتبارك من الأعظم ، والأعظم لا يتبارك ولا يتقدس من الأصغر .

إنى اعرفك يا سيدى ، وخبرتك جيداً ، لانه لا يمكن لأحد أن يتعرف عليك إن لم يتمتع باستنارة منك ، اعرفك يا رب

لانني رأيتك بالروح قبل أن أعاين هذا النور ، إنك عندما كنت بكل ملئك فى حضن أبيك السماوى غير الجسدانى ، كنت ايضاً بملئك فى بطن أمتك وأمك ، وأنا رغم اننى حُسبت فى بطن أليصابات بالطبيعة كما فى سجن ، وثبت واحتفلت بميلادك بتهليل مسبق! فهل أنا الذى اعلنت حلولك على الأرض قبل ميلادك اخفق فى إدراك مجيئك بعد ميلادك؟ لا يمكننى أن أصمت وأنت موجود لأننى «صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب» (مت٣: ٣) .

إننى عندما وُلدت أزلت عقم أمى ، وبينما كنت طفلاً صار اسمى شافياً لخرس أبى ، إذ قد اخذت منك منذ طفولتى موهبة صنع المعجزات ، أما أنت فإذ ولدت من العذراء مريم ـ حسب مشيئتك ـ فلم يلغ ميلادك بتوليتها ولكنك حفظتها ، كما أن البتولية لم تحل دون ميلادك ، ولكن هذين الأمرين ـ أى الولادة والبتولية ـ رغم أنهما متضادان تماماً ، فقد صارا متجانسين ومتحدين لأجل هدف واحد ، لأن هذا يظل ممكناً بك يا مبدع الطبيعة .

إننى مجرد إنسان ، أما أنت فإله مع أنك صرت إنساناً ، لأنك بطبيعتك محب البشر ، إنأنت هو بهاء مجد الآب (عب ١ :٣) والصورة الكاملة للآب الكامل ، أنت هو النور الحقيقى الذى يضيء لكل إنسان أت إلى العالم (يو١ :٩) أنت الذى سكنت بيتنا واظهرت ذاتك لعبيدك فى هيئة عبد ، أتأتى أنت إلىّ؟ أيأتى الملك إلى سابقه وممهد الطريق له؟ السيد إلى العبد؟

ورغم أنك لم تخجل من أن تُولد فى أحقر الأوضاع حسب المقاييس البشرية ، إلا أننى لا أملك القدرة على تعدى المقاييس الطبيعية ، إننى اعرف الفارق الكبير بين التراب والخالق ، وبين الطين والخزاف ، إننى اعرف مقدار علوك يا شمس البر ، عنى أنا الذى هو مجرد المصباح الذى يكشف الطريق إلى نعمتك .

«**لست أهلاً أن أحل سيور حذائك**» (لو٣ :١٦) فكيف أجروء على لمس رأسك التى بلا عيب؟ كيف يمكننى أن أمد يدى اليمنى عليك ايها «الباسط السموات كشقة» (مز١٠٤ :٢) و«الباسط الأرض على المياه» (مز١٣٦ :٦)؟ كيف أمد هاتين اليدين البشريتين الوضيعتين على رأسك؟ كيف أغسلك يا من

هو بلا دنس ولا خطية؟ كيف أنير النور؟ وأى نوع من الصلاة أرفعها عنك يا من تقبل الصلاة حتى من الذين يجهلونك؟

«هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو١ :٢٩) فيا نهر الأردن رافقنى مع خورس ممتع ، واقفز معى ، وحرك مياهك بطريقة إيقاعية كما فى حركات العازفين لأن خالقك يقف بجانبك فى الجسد! اليوم تتدفق المياه بسهولة وتحتضن الأعضاء غير الدنسة التى لذاك الذى يقدس الكل!! أيتها الخليقة كلها باركى الرب الذى جاء عبر نهر الأردن ، لانه من خلال جداول هذا النهر سيصل التبرير والتقديس إلى كل الأنهار!!

فأجابه الرب يسوع قائلاً «**اسمح الآن لانه هكذا يليق أن نكمل كل بر**» (مت٣ :١٥) فلما سمع المعمدان هذا الكلام وجه قلبه نحو واضع الخلاص الرب يسوع ، وادرك السر الذى أخذه ونفذ الأمر الإلهى ، لانه كان بتقواه مستعداً للطاعة ، وعمد الرب .

«**هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت**» بتلك الكلمات التى نطقها الاب من السماء بما يشبه الرعد استنار جنس البشر

وادركوا الفرق بين الخالق والمخلوق ، بين الملك وأحد جنوده ، وإذ تقووا بالإيمان اقتربوا من خلال معمودية يوحنا إلى المسيح إلهنا الحقيقى الذى ها هو يتمم وعده ويعمدنا «بالروح القدس ونار» له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس المحيى ، الثالوث القدوس الآن وإلى دهر الدهور آمين .



المصادر والمراجع

١) أسد رستم : *آبـاء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى* .

٢) چيروم : *مشاهير الرجال* ، ترجمة الراهب حنانيا السريانى .

٣) القس بولا البراموسى: *القديس اغريغوريوس صانع العجائب*.

٤) *مخطوط اعترافات الآباء* .

5) Quasten, *Patrology*, vol.II.

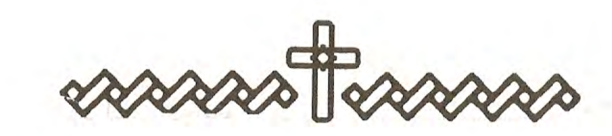
6) W. Telfer, *The Latin Life of St. Gregory Thaumaturgos* : Journal of Theological Studies, London 31, (1930) 142 - 2443 .

7) *Ante-Nicene Fathers*,vi.

8) Cross, *The Oxford Dictionary of The Christian Church* .

9) M.Metacalfe, *Gregory Addres to Origen*, SPCK, London.

الفهرس



صدر من موسوعة آباء الكنيسة

أختوس IXΘYΣ

١) القديس ميثوديوس الاوليمبى .

٢) القديس ايريناؤس اسقف ليون .

٣) القديس ديديموس الضرير .

٤) العلامة يوسابيوس القيصرى .

٥) العلامة بنتينوس السكندرى .

٦) العلامة لاكتانتيوس .

٧) القديس يوستين الشهيد والآباء المدافعون .

٨) القديس ايڤاجريوس البنطى .

٩) القديس هيلارى اسقف بواتييه .

١٠) البابا ديونيسيوس الكبير .

١١) القديس ابيفانيوس أسقف سلاميس .

١٢) الرسالة الى ديوجنيتس .

١٣) القديس كيرلس الكبير (رسائله ضد النسطورية) .

١٤) البابا الكسندروس السكندرى .

١٥) القديس أموناس تلميذ الأنبا أنطونيوس .

١٦) القديس يوحنا التبايسى (الاسيوطى) .

١٧) القديس بوليكاربوس .

١٨) القديس سيرابيون أسقف تيمى .

١٩) القديس يوحنا كاسيان .

٢٠) الآباء المؤرخون .

٢١) الأب أفراهات السريانى .

٢٢) أمهات قديسات .

٢٣) القديس اغريغوريوس صانع العجائب .

٢٤) القديس إيلاريون الكبير .

٢٥) جُهال من أجل الله .

٢٦) ثيؤفان الحبيس .

٢٧) سيرافيم ساروفسكى .